لامية جميل

مرت الاشارة إلى هذه القصيدة فى المحاضرة الثالثة ، ولكنا رأينا أن نثبتها هنا بجانب رائية عمر ، ليرى القارىء إلى أى حد صدق من قال : إن عمر أشعر من جميل فى الرائية ، وإن جميلا أشعر منه فى اللامية . وقد بحثنا عن نسخة كاملة لهذه القصيدة ، فلم نجد غير ما أثبته صاحب الاغانى فى ترجمة جميل ، ثم حاولنا الموازنة بين القصيدتين فلم نجد ما يبرر وضعهما فى الميزان ، إذ كانت رائية عمر أجمل بلا مراء . وجاء فى الاغانى في أخبار الغريض : قال الزبير فيما اخبرنى به الحرمى ابن أبى العلاء عنه : من الناس من يفضل قصيدة جميل اللامية على قصيدة عمر . وأنا لا أقول هذا ، لأن قصيدة جميل مختلفة غير مؤتلفة ، فيها طوالع النجد ، ، وخوالد المهد ، وقصيدة عمر بن أبى ربيعة ملساء المتون مستوية الأبيات ، آخذ بعضها بأذناب بعض ، ولو أن جميلا خاطب فى قصيدته مخاطبة عمر لأرتج عليه ، وعثر كلامه به — قال جميل :

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلى
بثينة أو أبدت لنا جانب البخل

يقولون مهلاً يا جميلُ وإننى لأُقسمُ مالى عن بُثَيْنة من مهل
أحاماً فقبل اليوم كان أوانه
أم اخشى فقبلَ اليوم أُوعدت بالقتل
لقد أنكحوا جهلاً « نبيهاً » ظعينةً
لطيفةَ طىٍّ الكشح ذات شوًى خَدل[1]
وكم قد رأينا ساعياً بنميمةٍ لآخرَ لم يعمد بكف ولا رجل

* * *

ألا أيها البيت الذى حِيل دونه بنا أنت من بيت وأهلك من أهل
ثلاثة أبيات فبيتٌ أُحبه وبيتان ليسا من هواىَ ولا شكلى
إذا ما تراجعنا الذى كان بيننا
جرى الدمعُ من عَيْنَىْ بثَيْنة بالكحل
كلانا بكى أو كاد يبكى صبابة إلى إلْفه واستعجلت عبرةً قبلى
أبيت مع الهُلاّك ضيفاً لأهلها
واهلى قريب موسعون ذوو فضل[2]

(١) نبيه : اسم علم، وهو نبيه بن الاسود العذرى ـ الكشح : الخصر ، الشوى : الاطراف.
(٢) الهلاك : الصعاليك الذين يتتابون الناس ابتغاء معروفهم

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ولكن طِلابيها لما فات من عقلي

فياويح نفسي حسب نفسي الذي بها

ويا ويح أهلي ما أُصيب به أهلي

وقالت لأُتراب لها لا زعانف قصار ولا كُسّ الثنايا ولا ثُعل (١)

إذا حميت شمس النهار اتقينها بأكسية الديباج والخز ذي الخمل (٢)

تداعين فاستعجمن مشياً بذي الغضا

ديب القَطَا الكُدْرِيّ في الدمث السهل (٣)

إذا ارتعْنَ أو فُزِّعن أو قمن حولها قيام بنات الماء في جانب الضحل (٤)

أجَدِّيَ لا ألقى بثينة مرةً من الدهر إلا خائفاً أو على رحل

خليليَّ فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي ؟

على أن من الحق أن نكرر ما أشرنا اليه فيما سلف من أن عمر

(١) الزعانف جمع زعنفة بالكسر والفتح وهى القصيرة ــ كس: جمع كساء وأكسر من الكسس بالتحريك وهو قصر الاسنان ــ ثعل جمع ثعلاء وأثعل من الثعل بالتحريك وهو زيادة سن أو دخول سن تحت سن مع اختلاف المنابت

(٢) الخمل : الهدب (٣) الكدرى ، كما في القاموس ، ضرب من القطا غبر الالوان رقش الظهور صفر الحلوق (٤) الضحل : الماء القليل على الارض لا عمق له ويجمع على أضحال وضحول وضحال

أقل صدقاً فى الصبابة من جميل ، فان لم تشهد هذه اللامية على سبقه فله قصائد ومقطوعات تجعله فى الطراز الأول بين أصحاب العواطف والقلوب . أليس هو الذى يقول :

لما دنا البين بينُ الحى واقتسموا ... حبل النوى فهو فى أيديهم قِطَعُ
جادت بأدمعها ليلَى وأعجبنى ... وَشْكُ الفراق فما أُلقى وما أدع
ياقلب ويحك ماعيشى بذى سَلَمٍ ... ولا الزمان الذى قد مرّ مُرتجع
أكلما بان حيٌّ لا تلائمهم ... ولا يبالون أن يشتاق من جَمعوا
علّقتنى بهوًى مُرْدٍ فقد جعلت ... من الفراق حصاةَ القلب تنصدع

بلى ! وهو الذى يقول :

وما زلتُ يابْثَنَ حتى لو أنى ... من الشوق أستبكى الحمام بكى ليا
اذا خدرت رجلى وقيل شفاؤها ... دعاء حبيب كنت أنتِ دعائيا
وما زادنى النأى المفرق بعدكم ... سلُوًّا ولا طول التلاق تقاليا
ولا زادنى الواشون إلا صبابةً ... ولا كثرة الناهين إلا تماديا
لقد خفت أن يفتاتنى الموت غَتوةً ... وفى النفس حاجات اليك كما هيا
وإنى لتثنينى الحفيظة كلما ... لقيتك يوماً أن أبثك ما بيا
أأم تعلمى ياعذبة الريق أننى ... أظلُّ إذا لم أسق ريقك صاديا